فكتوريا

ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

اولاد الملكة

دوق كوبرج

(٣) الفرنس الفرد دوق ادنبرج وهو الآن دوق ساكس كوبرج غوثا بالمانيا ولد في التاسع من اغسطس سنة ١٨٤٤ وأقترن بابنة القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٤ . ودخل الخدمة البحرية وهو في الرابعة عشرة من عمره جارياً في خطة سلافه الذين عززوا قوة الكاتر البحرية بانضمامهم اليها . ولم

يكن لهُ امتياز على غيرهِ من التلامذة البحريَّة ولم يبلغ رتبة ملازم الاَّ بعد ان صار له تسع عشرة سنة من العمر. وعُرض عليهِ قبيل ذلك ان يكون ملكاً على بلاد اليونان فابى مفضلاً ان يكون ضابطاً صغيراً في بلادهِ على ان يكون ملكاً في غيرها. ثم ارتقى في المناصب البحريَّة رويدًا رويدًا الى ان صار ثاني القبطان بعد ثلاث سنوات واتَّصل بهِ حينئذٍ لقب دوق ادنبرج واول سفينة وضعت تحت امارتهِ سفينة غلاطية فاشتهرت بحسن ادارتها . وبقي يرتقي في المناصب البحريَّة مثل غيرهِ من امراء البحر الى ان توفي عمهُ دوق كوبرج سنة ١٨٩٣ فآلت تلك الدوقيَّة اليهِ . وهو ميال الى الموسيقى فيحسن اللعب على الكمنجة وحيثما حلَّ اجتمع حولهُ الراغبون فيها

(٤) دوق كنوت . ولد في غرة مايو سنة ١٨٥٠ . ودخل المدرسة الحربيَّة بوليج وهو في السادسة عشرة من عمرهِ وارتقى في المناصب العسكريَّة رويدًا رويدًا الى ان بلغ رتبة جنرال سنة ١٨٩٣ . وقاد الاي الفارديس في الحملة المصريَّة وحضر معركة التل الكبير سنة ١٨٨٢ . وقاد الجنود الهنديَّة من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٩٠ ثم خلف السر افلن ود في الدرشت سنة ١٨٩٣ وحيثما اتجه عدَّ من نخبة القواد وصورتهُ على الصفحة التالية

وللملكة ثلاث بنات اخرى وهنَّ البرنسس هيلانة زوجة امير شلسوغ هلستين والبرنسس لويز زوجة مركيز لورن بكر دوق ارجيل. والبرنسس بيترس زوجة البرنس هنري باتنبرج الذي توفي في اوائل سنة ١٨٩٦ . وتوفي لها ابن وابنة حزنت عليهما الممالك الانكليزيَّة كلها حزنًا شديدًا . وعقبت وفاتهما وفاة ابن برنس اوف ويلس ولي عهدها وهو خاطب وعلى أُهبة الاقتران فزادت وفاتهُ في احزانها ونغصت عيش ابويهِ . وما الملوك والعظماء بأمن من نوائب الدهر بل هم فيها مثل اضعف رعاياهم وقد تكون وطأتها عليهم اشد ومهما بالغوا في اتقاء الكوارث

يبقى الموت لهم بالمرصاد . وكتبت الملكة حينئذٍ الى رعاياها تقول ان وفاة خطيبها هذا كانت اشد المصائب عليها هولاً بعد وفاة زوجها وختمت كتابها بهذه ترجمته

ان المشاغل والمتاعب التي تحف بمنصبي عظيمة جداً ولكني اطلب من الله ان يديم لي الصحة والعافية مادمت في قيد الحياة كي اقوم بما يجب عليّ لخير بلادي وسلطاني وسعادتها

دوق كنوت

وولاية عهدها الآن لابنها برنس اوف ويلس ومن بعده لابنه دوق يورك ثم لحفيده البرنس البرت بن دوق يورك الذي ولد سنة ١٨٩٤ . فلها الآن ثلاثة من ولاة العهد الواحد بعد الآخر وقد رسموا معها في الصورة الثانية

الملكة وولاة عهدها

[ ] ارتقاء بلادها في عهدها

ارتقاء بلاد كبيرة كالبلاد الانكليزية عمل عظيم جدًّا يستدعي إعمال الوف من العقول الكبيرة والآراء السديدة مدة سنين كثيرة لكن هذه الآراء وتلك العقول قد تعجز عن ترقية البلاد اذا كان ملكها ظالمًا غشومًا او خاملاً لا يسعى في مصلحة بلاده ولا يهتم باصلاح شأنها. فالملك الحكيم الذي يشارك رجاله في سياسة بلاده ويختار الاكفاء منهم لتولي خططها ويقودهم بحكمته في مسالك الامن الشأن الاعظم في إنجاح البلاد وتعزيز اركانها

وغني عن البيان ان للملكة فكتوريا اليد الطولى في ما بلغته البلاد الانكليزية من الارتقاء في عهدها لانها اتصفت بكل صفات الملك الحكيم العادل المشارك لرجاله في كل ما يعود على بلاده بالخير والفلاح. وارتقاء بلادها لا يتضح مقداره الاَّ بالمقابلة بين حاضرها وماضيها وهذه المقابلة لا توفي حقها في اقل من مجلد كبير لكن الارتقاء عظيم وشامل لكل الاعمال والمعاملات مادية كانت او ادبية حتى تكفي الاشارة اليها بالايجاز اذا تعذّر الاسهاب فنقول

جلست الملكة فكتوريا على سرير الملك والحواجز كبيرة والاسوار منيعة بين السوقة والاعيان هؤلاء يتربعون في المناصب العالية ويتمتعون باطايب الحياة واولئك يقصون عنها ويمنعون من الدنو منها. نعم كانت قوانين البلاد تقضي بالمساواة وعدم المحاباة لكن كان فيها عوامل اخرى تخص النعم والمنافع بقوم دون غيرهم فكانت خدمة الحكومة مباحة للجميع ولكن لم يكن يُعيَّن فيها ولا ينتفع منها الاَّ اناس مخصوصون لقيود وروابط كثيرة يقضي بها ذوو المآرب مآربهم وكذلك قُل عن حق الانتخاب والدخول في مجلس النواب وفي المدارس العالية. فقام انصار الحق في عهد الملكة فكتوريا وقطعوا تلك القيود ويسّروا على الوضيع مجاراة الرفيع ولا يزال هذا دأبهم

وسعى العلماء والاطباء في اكتشاف اسباب الامراض والوقاية منها وساعدتهم المجالس البلدية على اتخاذ التدابير الصحية فقلَّ معدَّل الوفيات وخفَّت وطأة الأوبئة فزاد عدد السكان زيادة عظيمة حتى ملأوا الجزائر الانكليزية وهاجر اكثر من تسعة ملايين منهم لتعمير مستعمراتها الوسيعة وللانضمام الى اخوانهم في الولايات المتحدة الاميركية . وحيثما ذهبوا اخذوا معهم لغتهم وعلومهم ومبادئ الحرية والانصاف التي نشأوا عليها وهذا سرُّ نجاحهم في مستعمراتهم فانهم لا يكتفون برفع رايتهم على البلدان التي يفتحونها بل يرتحلون اليها ويسكنون فيها ويشاركون اهلها في تعميرها

وقد زادت مستعمراتهم في هذه الاثناء زيادة لا مثيل لها في تاريخ الممالك فزادت مساحتها في بلاد الهند ٢٧٥ الف ميل مربع اي اكثر من مساحة بلاد الهند. وفي سائر اسيا ٨٠ الف ميل مربع اي قدر مساحة بريطانيا نفسها. وفي جنوبي افريقية ٢٠٠ الف ميل مربع وفي شرقيها مليون ميل مربع. وكانت مساحة البلاد الانكليزية ومستعمراتها حينما جلست الملكة على سرير الملك ٨٣٢٩٠٠٠ ميل مربع فبلغت الآن ١١٢٥٠٠٠٠ اي زادت ٢٩٢١٠٠٠ ميل مربع في ستين سنة وكان عدد سكانها ١٦٨ مليوناً فبلغ الآن ٤٠٠ مليون وكان عدد الانكليز في جزائرهم ٢٥٧٥٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم نحو ١٥٠٠٠٠٠٠ فبلغ عددهم الآن في جزائرهم ٣٩٥٠٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم ١٠٥٠٠٠٠٠ اي زاد عددهم من ٢٧ مليوناً الى خمسين مليوناً عدا الذين هاجروا منهم الى الولايات المتحدة الاميركية . وكان دخل الحكومة الانكليزية منذ ستين سنة نحو ٧٥ مليون جنيه ٥٠ منها من بريطانيا و٢٥ من الهند وهو الآن ١١٠ ملايين جنيه من بريطانيا و٦٣ مليون جنيه من الهند و ٣٠ مليون جنيه من استراليا و٨ ملايين جنيه من كندا و ٧ ملايين

جنيه من بلاد الراس و ٧ ملايين من سائر المستعمرات الانكليزية وجملة ذلك ٢٢٥ مليون جنيه

واتسع نطاق التعليم والتهذيب في الممالك الانكليزية بنوع عام وفي البلاد الانكليزية الاصلية بنوع خاص فبلغ عدد تلامذتها اليوم ستة ملايين ونصف وكانوا قبلاً ٢٥٠ الفاً فقط وبلغت الاموال التي تنفقها الحكومة على التعليم عشرة ملايين جنيه وكانت لا تزيد على مليون جنيه

ولانتشار المعارف واستتباب الامن اتسع نطاق الصناعة فمن بعد ما كان الانكليز يستخرجون عشرين مليون طن في العام من الفحم الحجري ومليوناً وخمس مليون من الحديد في السنة صاروا يستخرجون الآن ١٩٠ مليون طن من الفحم الحجري و ٢/١ ١٢ مليون طن من الحديد . وباتساع نطاق الصناعة والمستعمرات اتسع نطاق التجارة اتساعاً لم يسمع بمثله في سابق الاعصار فقد كانت قيمة الصادر والوارد في بدء ملكها ٢٦٠ مليون جنيه في السنة فصارت الآن ٧٣٨ مليوناً وكان محمول سفنها التجارية نحو مليونين ونصف مليون طن فصار الآن تسعة ملايين طن وزاد طول السكك الحديدية فيها من ٢٤٠٠ ميل الى ٢١٠٠٠ ميل وكانت قيمة الصادر والوارد الى مستعمراتها ٤٩ مليون جنيه فبلغت الآن ٤٨٤ مليون جنيه

وزادت ثروة الامة الانكليزية في بلادها من اثني مليون جنيه الى عشرة آلاف مليون وزادت اسباب الرفاهة والنعيم على اكثر من هذه النسبة وزاد المال الذي يقتصده فقراء الامة في بنوك الاقتصاد من ٢/١ ١٨ مليون جنيه الى ١٥٠ مليوناً

وكثر عدد المحسنين فبنوا ملاجئ للارامل والايتام والمنقطعين وبيوتاً صحية للفقراء على اختلاف طبقاتهم ومن هؤلاء المحسنين بيدي الغني الاميركي الذي

وهب فقراء لندن خمس مئة الف جنيه ولما كانت الملكة شاعرة بكل ما يجري في مملكتها كما يجب ان يكون الرأس في الجسم الحي عرفت قدر هذه الهبة وكتبت اليهِ تقول

"بلغ الملكة ان المستر بيبدي عزم على العودة الى اميركا وهي لا تريد ان يترك بلادها من غير ان تثبت لهُ شدة اعتبارها للعمل الشريف والهبة التي تفوق هبات الملوك التي اراد بها تخفيف المصايب عن الفقراء من رعاياها المقيمين في مدينة لندن . وفي اعتقاد الملكة ان هذا العمل الشريف لا مثيل لهُ بين اعمال الناس وافضل جزاء لهُ ما يشعر بهِ عاملهُ من السرور حينما يعلم مقدار النفع العظيم الذي نفع بهِ اولئك المساكين . ولم تكن الملكة لترضى باظهار شكرها من غير ان تعطي المستر بيبدي علامة من علامات دولتها تدلُّ على اعترافها بفضلهِ العظيم وكانت ترفع لو منحتهُ رتبةً عاليةً او نشاناً ساميًا ولكن بلغها ان المستر بيبدي ممنوع من قبول ذلك بقوانين بلادهِ فلم يبقَ للملكة والحالة هذه سوى ان تقدم لهُ هذه السطور المعربة عما تشعر بهِ من الشكر وتطلب منهُ ان يقبل منها صورة من صورها تصوَّر لهُ خاصةً ومتى تمَّ تصويرها تُرسل اليهِ الى اميركا او تعطى لهُ حينما يعود الى هذه البلاد اذ بلغها ما سرَّها وهو انهُ عازم على العودة الى هذه البلاد المديونة لهُ ديناً عظيمًا"

وصُنِعَت الصورة حسب اشارة الملكة وهي اول مرة صنعت فيها صورتها لتهدى الى غير الملوك وهي من المينا على لوح من الذهب يحيط بها بروازٌ كبير من الذهب الابريز وعليهِ التاج الملكي وهي لابسة الحلة الملكيَّة التي فتحت بها البارلمنت وهي الحلة الملكيَّة الوحيدة التي لبستها بعد ترملها

ومنذ ثلاث سنوات احتفل اهل مدينة بيبدي بأميركا بعيد مئة سنة من

يوم ميلادهِ فبعثت اليهم الملكة رسالة برقيَّة تقول فيها " ان تذكارجوبلي يبدي لم يزل يتجدَّد في قلبي وقلب شعبي بالشكر الجزيل لما لهُ من المبرات المقرونة بالكرم والفضل ". فملكة مثل هذه تنهض هم المحسنين وتحيي آثارهم توجدهم من العدم وتجعل المال في ايدي الاغنياء آلة للبر والاحسان بدلاً من ان يكون آلة للشر والفساد

ومما يذكر في هذا الصدد انهُ لما نشبت الحرب الاخيرة بين فرنسا وبروسيا جمع الانكليز الصدقات والاعانات وبعثوا بها الى فرنسا على جاري عادتهم فكتب الفرنسويون الف عريضة من عرائض الشكر وامضوها باثني عشر مليون امضاء وجلدوها اربع مجلَّدات كبيرة وقدموها الى الملكة مع وفد من عظمائهم. ولا يعرف الفضل الاَّ ذووهُ

والارتقاء الصحيح سلسلة محكمة الحلق فلما زادت المستعمرات واتَّسع نطاق التجارة دعت الحال الى تقوية العمارة البحريَّة لكي تحمي السفن التجاريَّة والمستعمرات النائية. ولما استوت الملكة فكتوريا على سرير الملك كانت انكلترا سلطانة البحار وكانت اساطيلها قد قهرت اساطيل فرنسا واسبانيا والدنمارك ولم يبقَ لها ندٌّ في المسكونة ومضت ستون سنة والدول تجدُّ وتسعى في مناظرتها ولا تزال سلطانة البحار ولا يزال اسطولها يغالب اساطيل كل الدول التي يمكن ان تجتمع عليها فيغلبها لكنَّ بوارجها التي محقت بها اسطول بونابرت في ابي قير تعدُّ كالعصافة امام البوارج التي بنتها في هذه الاعوام فقد استعرضت بوارجها سنة ١٨١٤ امام اسكندر الاول قيصر الروس وفردرك وليم ملك بروسيا وكانت اربع عشرة من النوع المسمَّى ببوارج المصاف واحدى وثلاثين فرقاطة وكان علم امير البحر حينئذٍ على بارجة محولها ٢٢٧٠ طنًّا وفيها ٩٨ مدفعاً كبيرًا و ١٠ مدافع صغيرة واكبر مدافعها

وزن قنبلته ٣٢ ليبرة . واستعرض الاسطول الانكليزي في الصيف الماضي وقت يوبيل الملكة فكان فيه اثنتا عشرة بارجة من البوارج المدرعة بنيت منذ اقل من

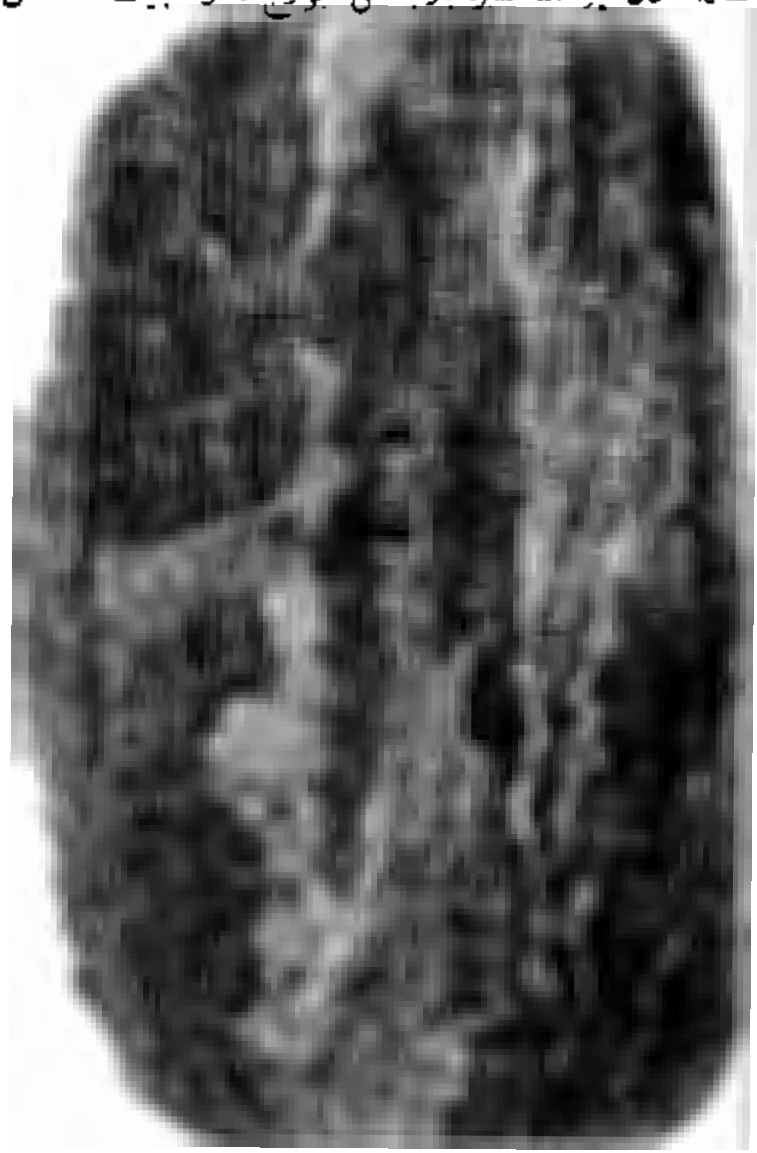

البارجة دنلاسلن

عشر سنوات ست منها تحمل كلّ بارجة منها خمسة عشر الف طن وسرعتها ١٨

ميلاً بحرياً في الساعة ويمكنها ان تقيم في عرض البحر دائماً مهما كان الموء شديداً ولا تضطرُّ ان تلجأ الى مرفاء . وليس في اساطيل الدول الاوربية والاميركية كلها ست بوارج مثل هذه ومدافعها من احدث المدافع المصنوعة من اسلاك الفولاذ وثقل المدفع منها ٤٦ طناً وثقل قنبلته ٨٥٠ رطلاً اذا اصابت حائطاً من الفولاذ سمكهُ متر خرقتهُ كما تخرق الرصاصة لوح الخشب الرقيق. وكان الانكليز قد صنعوا مدفعين ثقل كلٍّ منهما ١١١ طناً لكنهم وجدوا هذه المدافع اقوى فعلاً . وبعد هذه الستة البارجة المسماة رينون وهي اسرع منها سيراً ثم خمس بوارج كبيرة المدافع ثقل كل مدفع من مدافعها ٦٧ طناً وثقل قنبلته ١٢٥ رطلاً. اما البوارج التي بنيت منذ اكثر من عشر سنوات الى عشرين سنة فعرُض منها ثمان بوارج ومنها البارجة دفاستاشن المرسومة في الشكل المقابل وهي اصغرها فان محمولها ٩٣٣٠ طناً ولكنها اذا قوبلت بها البوارج الحربية التي كانت عند الانكليز في اول حكم الملكة بانت امامها كالولد الصغير امام الجبار الكبير. وفي هذه البوارج من الآلات البخارية والكهربائية ومن احكام الصناعة الهندسية ونتائج العلوم الطبيعية ما لو قيست بمعارف الناس منذ ستين عاماً لبانت كالمصباح الضئيل امام شمس الظهيرة. وهذا الارتقاء الهندسي والصناعي غير خاصٍّ بانكلترا ولكن نصيبها منهُ اعظم من نصيب غيرها لانها تفوق كل الممالك في الصنائع الهندسية ولاسيما في بناء البوارج الحربية والسفن البخارية

وابلغ من تقدُّمها العقلي والمادي تقدُّمها الادبي والاجتماعي فاخصُّ ما يمتاز به حكمها تعميم الحرية والمساواة حتى يشترك في خيرات ممالكها كل احد من رعاياها كبيراً كان او صغيراً غنياً او فقيراً . وكل بلاد ارتفع فيها العلم البريطاني صارت مقصداً للناس على اختلاف اجناسهم يقصدونها للارتزاق والاتجار

فتساوي بينهم كانهم من رعاياها . وقد منحت كندا واستراليا وزيلندا الجديدة و بلاد الراس حكومة نيابية تكاد تكون مستقلة في كل شيء بل صار النساء ينتخبن ايضاً للنيابة في بعضها ولا يبعد ان تشمل الحكومة النيابية اقسام بلاد الهند فتصير السلطنة الانكليزية كلها مجموع ولايات مستقلة تربطها رابطة الحرية الشخصية والمصلحة العمومية

وخلاصة الكلام ان الملكة فكتوريا سادت عَلَى قلوب شعبها بمزايا حكمها فاذا ذكرت الفتوحات وضخامة الملك " كان الاسكندر وقيصر ونابوليون بونابرت دونها كثيراً لانهُ لم يحكم احدٌ منهم عَلَى ربع اهل الارض مثلها ولا انشأ سلطنة لا تغيب الشمس عنها مثل سلطنتها وان ذكر المجد والغنى وعظمة الشأن لم يقم في الارض ملك بلغت مملكتهُ ما بلغت مملكتها في ذلك كلهِ وان ذكرت العدالة والحرية ولاسيما الحرية الدينية فاي ملك يشبه فكتوريا وهي الملكة المسيحية التي يخضع لها نيف وستون مليوناً من المسلمين ومعظم الاسرائيليين واكثر من ٢٦٠ مليوناً من الوثنيين فهي الأولى بين الملوك والسلاطين في كثرة رعاياها المسلمين والثانية في كثرة رعاياها الوثنيين والثالثة في كثرة رعاياها المسيحيين وكلهم احرار في ديانتهم وعبادتهم وعوائدهم وآرائهم واقوالهم . وكل بلادها وممالكها مفتوحة الابواب للغريب ليستوطنها ويتاجر فيها ويكسب منها بلا امتياز لاهلها عليهِ خلافاً لما تفعلهُ الممالك الأخرى . واذا ذكرت الاريحية والمروءة لاغاثة الملهوف واجارة المرهق والعطف على المنكوب فانكلترا بلاد الصدقات والمبرات والحسنات بلا خلاف

فلا غرو اذا كانت هذه منزلتها عند قومها ولا عجب اذا استعظمها كل محب العدل والحرية والتمدن والتقدم وودّ ان يكون تقدم بلادهِ كتقدم بلادها واحكام مملكتهِ كاحكام مملكتها "